الجزء الثاني المجلد الخامس والثلاثون

# مجلة المجمع العلمي العراقي

رجب ١٤٠٤ هـ
نيسان ١٩٨٤ م

# مواد التجميل في الحضارة العربية

الدكتور جابر الشكري
( عضو المجمع )

خلق الله ، جلّت قدرته ، المرأة ، ويَسّرَ لها كلّ ماتُحب وتهواه ، وراحت هي أيضاً بوسائلها المُغْرية تُسَخِّر الرجل ليبتكر لها أشياء تَتَزَيّن بها وتتجمّل .

وعادة التجميل قديمة بقدم البشريّة نفسها ، وتختلف باختلاف الأزمان والأجناس والشعوب والقبائل . ونجد مثـلاً ، آثار مواد التجميل باقية على وجوه المومياء المصريّة ، ونجد الكثير من أسمائها قد دُوّن في البرديّات المصريّة .

وفي وادي الرافدين نقرأ في الألواح الطينيّة وصفات عديدة لأسماء مختلفة لمواد التجميل وكيفيّة الحصول عليها من مصادرها الطبيعيّة وصناعتها .

إن استعمال مواد التجميل أي – التّزَيُّن – مظهر من مظاهر الترف والاناقة ، وهي أمور لاتظهر عادة الاّ بين الشعوب المتقدّمة ، إذ هي دليلٌ ملموس على ارتفـاع المستوى المعاشي والحضاري . ولنا في ذلك مثـال في حضارتنا ، الحضارة العربيّة الخالدة ، التي خلّفت لنا تُراثاً زاخراً في كلّ ناحية من نواحي الفكر والفنّ .

لقد نالت مسألة مواد التجميل وصناعتها في الحضارة العربيّة قسطاً وافراً من الأهمية التقنيّة ، وراح الصنّاع يتفنّنون في صناعتها ، فأجادوا بها، رغم

أنّها صناعة متعدّدة الجوانب ، ومصادرها كثيرة . فمنها ماكانت من مصدر حيواني ، ومنها ماكانت من مصدر نباتي ، وأخرى من مصدر معدِنّي .

يذكر ابن الجوزي في « المنتظم » (١) أسواق بغداد ، ومنها « سوق العطّارين » الذي كانت دكاكينه غاصّة بمختلف أنواع العطور . ومن المؤكّد ان مواد التجميل كانت تباع في مثل هذه الدكاكين ، لأنّ — العطّار — هو الشخص المتخصّص ببيع مثل هذه المواد . والأرجح أنّه كان هو المُتَفَنِّن بعملها وتحضيرها .

والعطّار في عصر الحضارة العربيّة هو الشخص المسؤول عن العطّارين بمختلف أنواعها وأشكالها ، طبيّة كانت أم غير طبيّة . وقد نظّم العطّار العربيّ دكّانه ، فكانت حصيلة ذلك « الصيدليّة » كما نسميها الآن وصاحبها « الصيدلانيّ » . ويُحدّثنا التاريخ أن أوّل صيدليّة فتحت في العالم كانت في بغداد سنة ٦٢١ هـ — ١٢٢٤ م . ومن بغداد انتشرت الصيدليّات . ثم تفرّعت بمرور السنين — الى فرعين ، فرع تباع فيه المواد الطبيّة حصراً ، واطلق عليها ، في اللّغات الاوربيّة اسم « Pharmacy » وآخر تباع فيه العطّاريّات القديمة ومواد التجميل وغير ذلك في مثل هذه البضائع ، واطلق عليها اسم Droyerie أي محلّ بيع العطّاريات . ( مخزن العطّاريات ) .

ونقصر حديثنا على مجموعة من مـواد التجميل التي وردت في المصادر التاريخيّة العربيّة وهي تكوّن صنفاً مهمّاً من التقنيّات « الكيميائيّة » التي برزت بها الحضارة العربيّة . ويطلق عليها في العرف الكيميائي الحديث « Cosmeties » .

## الكُحْلُ « الإثْمِدُ » (٢)

الكُحْلُ ، ويقال له الإثْمِدُ ، أُخذ من الثّمْد ، وهو الماء القليل . وذلك أنّه يُؤخذ قليلاً قليلاً ، ويُكْتَحَلُ به .

والإثمد في اللّغة حجر يتّخذ منه الكحل ، وقيل ضرب من الكحل ، وقيل هو الكحل نفسه . . . . ويقال للرجل يسهر ليله ساريا ، أو عاملا فلان يجعل اللّيل اثمدا أي يسهر ، فجعل سواد اللّيل لعينيه كالاثمد لأنّه يسير الليل كلّه في طلب المعالي . قال الشاعر : أبو عمرو :

كميش الأزار يَجْعَـل الليل إثمـداً
ويغدو علينا مُشْرِقاً غيرَ واجِـم

والكحل مايُكتحل به ، قال ابن سيده : الكحل ما وضع في العين يشتفى به . ويقال كَحَلَ وكَحّل العين . وأنشد الشاعر « ثعلب »

فمالك بالسُّطان أن تَحمـل القَذَى
جُفونُ عيون بالقَذَى لم تُكَحّل

إن عادة التكحّل قديمة جداً ، فقد وردت نصوص بابليّة وآشوريّة وفرعونيّة كثيرة حول الكحل . ويظهر سواد الكحل بصورة بارزة في عيون النساء ، والرجال أيضاً ، في الرسوم الأثريّة المنتشرة في المتاحف العالميّة .

ويروي لنا « المسعودي » (٣) في سياق كلامه عن قصّة زرقاء اليمامة المشهورة واستعمالها للأثمد ، حيث يقول :

« ولمّا فرغ حسّان من جديس دعا باليمامة بنت مرّة ، وكانت امرأة زرقاء ، فأمر فنزعت عيناها ، فإذا في داخلها عروق سود ، فسألها عن ذلك فقالت : حجر أسود يقال له الأثمد . كنت أكتحل به ، فنشب الى بصري وكانت هي أوّل من اكتحل به ، فاتّخذوه بعد ذلك كحلا ...

وممّا يذكره الدكتور أحمد سوسة (٤) عن حضارة الهكسوس وثقافتهم « وقد ورد في الكتابة الهيروغليفيّة التصويريّة التي يحملها أحد الموظفين

المصريين بيده مايشير الى أن هذه الجماعة من « سكّان الرمال » وقد جاءت الى مصر وهي مؤلفة من ستة وثلاثين شخصاً من نساء وأطفال ورجال يرأسهم الشخص المسمى « أبيشاي » وقد جاءوا بهدايا معهم الى الحاكم منها كمية من مادة « الكحل » التي تصبغ بها أهداب العين الى زوجته . وقد سُمّي « الكحل ستيبيم » .

من المعروف أن رواية الهكسوس تقع بعد رواية زرقاء اليمامة ببضعة قرون ، ممّا يستدل أن الهكسوس نقلوا الأثمد معهم من الجزيرة العربيّة . وهنا يرد السؤال ، هل أنّ الأثمد كان يُستخرج من مكان ما من الجزيرة العربيّة ، أم يُؤتى به من مكان آخر ؟

توجد في أحد المناحف الأمريكية آنية أكديّة (٥) ( حوالي ٤٠٠٠ ق.م. ) مصنوعة من معدِن الأنتيمون الخالص ، وهذه اشارة الى احتمال وجود هذا المعدن في مناطق ليست بعيدة عن موطن الأكديين ( أور ) وكذلك الى احتمال تعدين الأثمد ( كبريتيد الأنتيمون ) .

لقد أصبحت العيون الكحيلة من الصفات المستحبّة في المرأة في العصر الجاهلي – وحتّى الآن – قال زهير بن أبي سُلمى :

وناظرتين تطحـــران قذاهمـــا
كأنّهما مكحولتـان بأثمـدِ (٦)

وعند ظهور الاسلام أقرّ النبي الكريم ( ص ) التكحّل ، بل وحثّ المسلمين على استعماله . وورد في الحديث الشريف « عليكم بالأثمد فانّه يجلو البصر » وكان يكثر التكحّل حتى أنه كان يكتحل وهو صائم (٧) .

وفي العصر الأموي عُدَّ الكحل من أزين الزينة ، وتشير مصادرنا أن عبدالله بن جعفر قال لابنته حين جهّزها « أيّاكِ والغيرة ، وعليكِ بالكحل فانّه أزين الزينة » . واستمرّ اعتبار الكحل في العصر العباسي من أزين زينة

المرأة . فقد جاء مثلاً ، في حديثٍ لأبي الأسود مع ابنته مخاطباً ايّاها « عليك بالزينة وأزين الزينة الكُحْل .... » ( ٨) .

لقد كان الكحل من أهم المستحضرات التي اهتم بها العطّارون . فقد تفنّنوا في صناعته وطرق استعماله . وصنعت المكَاحِلُ لحفظه وبأشكال جميلة ومن مواد ومعادِن مختلفة ، فمنها ماكان يصنع من العاج الثمين ، ومنها من الذهب أو الفِضّة ، وكانت المكَاحِلُ تُرَصَّعُ بالأحجار الكريمة ذات الألوان الخلاّبة . وقد أصبحت عادة التكحُّل من العادات المستحبّة عند الرجال أيضاً ، ومظهراً من مظاهر الاناقة .

بحث « ابن البيطار » (٩) وغيره من أصحاب كتب المفردات ، الأثمد بحثاً مفصلاً ، فلخّص ماجاء به « أرسطو » حيث قال : هو حجر يخالطه ، الرصاص في جسمه ... واذا جعل مع الفضّة كسرها ( تتكوّن سبيكة رَخْوَة ) وله معادن بأكناف المشرق ، وأنه نافع للعيون ونافع في كثير من الأكحال . ويقوّي أعصاب العين ، وينفع العجائز والمشايخ والذين ضعفت أبصارهم من الكبر اذا جعل فيه شيءٌ من المسك .

الكحل هو كبريتيد الانتيمون الطبيعي ، والمشهور منه الكحل الاصفهاني ، او الكحل الأسود . وتوجد خامات الانتيمون Antimon في الطبيعة بأشكال مختلفة ، وأقدمها وأهمها هو الخم المعروف باسم Spiessglanz او Grauspiessglanz وهو الذي أطلق عليه اسم « الاثمد » . ومن الناحية الكيميائية هو ثالث كبريتيد الانتيمون $Sb_2S_3$ ومن المعروف ان القدماء كانوا يطلقون اسم « المعدن » على « الخام » لأن اغلب المعادن التي كانت معروفة ليست بصورتها النقية ( طبعاً عدا الذهب ، والفضة احياناً ) .

يرمز لعنصر الانتيمون Sb مأخوذ من اسمه اللاتيني Stibium — ستيبيم — وكان هذا الاسم يطلق على الخام نفسه وهنا يرد التعليق على هذه

الكلمة . فقد ذكر ان الهكسوس أطلقوا اسم « ستيبيم » على الأثمد ، وهو اسم مصدره الجزيرة العربية ومعنى ذلك ان الاسم Stibium ليس لاتينياً بل أدخل الى اللاتينية ، وهناك كلمات كثيرة ترد في الكيمياء تعد كلمات لاتينية بحتة ، ولكن لو تعمقنا بتدقيقها لوجدناها غير ذلك .

لقد نقل العرب علوم اليونان الى اللغة العربية ، وقالوا هذا الموضوع نقل عن ارسطو او افلاطون مثلاً . وقالوا هذه كلمة يونانية عربناها ، واذا لم يجدوا الكلمة المناسبة في العربية ، كتبوا الكلمة اليونانية بحروف عربية وقالوا عربناها بهذه الصورة . وعندما نقلت العلوم من العربية الى اللاتينية شوهت الحقائق وطمست معالم وآثار علمية كثيرة قام بها العرب ولا نريد ان ندخل في هذا الباب الآن ، والشواهد كثيرة جداً . ان كشف المزيد من معالم الحضارة العربية ومآثر العلماء العرب والمسلمين منوط بمساعي وجهود هذا الجيل الصاعد من ابناء هذه الامة العريقة ، وهم علماء المستقبل ومعلمو الاجيال .

اما كلمة « انتيمون Antimon » فيقال ان واضعها شخص اسمه « قسطنطين الافريقي Constaninus Africanus » وهناك تكهنات كثيرة حول الاسم . ولكن الكيميائي الالماني الشهير H. Remy ريمي » يذكر ان التسمية « انتيمون » جاءت متأخرة ، ويعتقد انها عربية الاصل (١٠) . كما ان المؤرخ الدكتور فيليب حتي أيدَ ذلك (١١) .

وبهذه المناسبة لابد ان نشير الى ان صياغة ( الميناء » على ايدي صابئة العراق قديمة جداً ، وهي كما يعرف الكيميائي أغلبها من الانتيمون .

لايزال الاثمد « الكحل » وبخاصة في الجزيرة العربية وبلدان الخليج العربي يستعمل بكثرة عند العامة من الناس ، ويطلق عليه هناك وفي العراق أيضاً — اسم « كحل مكة » ومن الناحية الطبية يفضل عدم استعماله ، حتى لو كان محضراً بالمعامل الكيمياوية . وقد استعيض عنه بمواد التجميل الحديثة .

فالكحل الطبي الذي يصنع في مصانع مواد التجميل هو غير الأثمد القديم ، ولكن لايستبعد أن يدخل في تركيبها .

## الدَّيْرَم

الديرم قِشْرة أغصان شجر الجوز . تُؤخذ قطعة صغيرة من القشرة ، وتضعها المرأة فوق الشفاه وتتركها فترة من الزمن ، فتصبغ الشفاه بلونٍ بُنيّ مائل الى الحُمْرة . ويكون اللّون فاتحاً أو غامقاً بحسب نوعيّة القشور وجودتها ، وكذلك بحسب الفترة الزمنيّة التي تُترك فيها القشرة على الشفاه . وهذه عادة قديمة جداً ، وقد عرفتها النساء منذ زمنٍ بعيد .

وتوجد أنواع كثيرة من قشور الأشجار والنباتات تستعمل للديرم ، ولكن اشهرها وأكثرها استعمالاً عند النساء هي قشور شجر الجوز ، ولا تزال تستعمل حتّى الآن عند البسطاء من الناس . وتُباع مثل هذه القشور عند العطّارين ، ونشاهدها في دكاكينهم في « سوق الشورجة » مثلاً .

إن الصبغة التي في قشور الجوز تُؤثّر في المواد الزلاليّة ( أي اللّحم ) فتصبغها بلون ثابت ، يبقى عدّة أيّام ، يَخفُّ تدريجياً . وهذا عكس ما يحصل في « أحمر الشّفاه الصناعي » إذ يمكن إزالته بسهولة ، ذلك لأنّ الصبغ خارجي ، ولا يتفاعل مع المواد الزلالية .

ورد في لسان العرب : الدّارِمُ — شجرٌ شبيه بالغَضَا ، ولونه أسود ، يَسْتاكُ به النساء فيُحَمِّرْنَ لِثاتهنّ وشِفاههُنّ تحميراً شديداً ، وهو حريفٌ ، رواه أبو حنيفة ، وأَنْشَدَ :

إنّما سَلَّ فـؤادي دَرَمٌ بالشّفتين

( الدّارِم هو الديرم . إن بعض القبائل العربيّة تلقب الألف ياء . دَرَمٌ أي الصبغ الأحْمَر ) .

وجاء في تاج العروس : جَوْزٌ ثمرٌ معروفٌ ، وهو الذي يُؤكل – مُعَرَّب – وقد جرى على لسان العرب وأشعارها ويقال جَوْزةٌ وجوزات . وشجر الجوز كثير بأرض العرب ، وخشبه موصوف بالصلابة .

يُسمّى شجر الجوز بالانكليزيّة Walmuttree ، وبالألمانيّة Walmuss Baum . وهو أنواع كثيرة ،ومنها الجوز المعروف باسم « جوزأرمد » واسمه العلمي (( Juglans Cinerea )) من العائلة الجوزيّة (( Juglandacea ))

لقد استطاع الكيميائيون الحصول على مواد كثيرة من قشور الجوز ، والأجزاء الخضرة من الشجر ، ومن اهمّ هذه المواد صبغ أحمر بُنيّ اللّون ، أُطلق عليه اسم « يوكلون Juglone » وهذا الصبغ هو الذي يُؤثّر على الشفاه ، أي يتفاعل مع الزلال ، ويصبغها وقد عرفوا الصيغة التركيبيّة لهذا الصبغ أيضاً ، وهي

٥– هيدروكسي – ١ر٤ – نفتوكينون

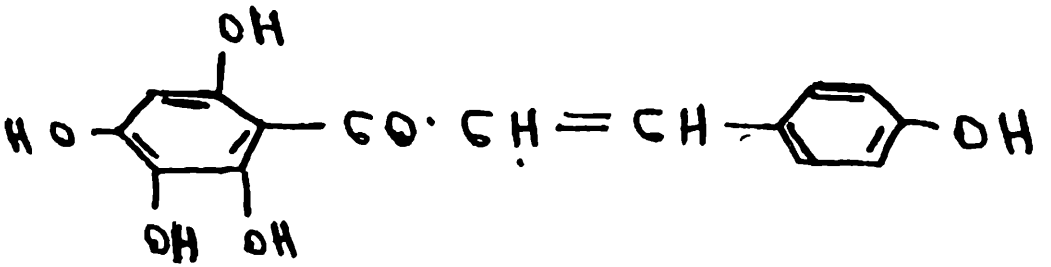


5- Hydroxy - 1,4 - maphtochinome.

## الحِنّاءُ

الحِنّاء معروفة منذ زمن بعيد جداً ، وكان الفراعنة يستعملونها في تحنيط موتاهم.وقد وجدت آثارها في مقابر « الهوّارة » واستعملوها أيضاً خضباً للأيدي والأرجل والشعر .

ومما جاء في لسان العرب في مادة « خَضَبَ » : الخِضاب : مايُخْضَبُ به من حِنّاءٍ ، وكَتَمٍ ونحوه . وفي الصحاح : الخضاب مايُخْتَضَبُ .

واخْتَضَب بالحنّاء ونحوه ، وخضب الشيءَ يخضِبُه خضباً ، وخَضَّبه : غيّر لونَه بحُمْرةٍ أو صُفْرةٍ أو غيرهما ، قال الأعشى :

أرى رَجُلاً ، منكم ، أسيفاً ، كأنما
يَضُمُّ ، الى كَشْحَيْهِ ، كفاً مُخَضَّبا

وخَضَب الرَّجلُ شَيْبَه بالحنّاء يخضِبُه ؛ والخِضابُ الاسم . قال السهيلي : عبدالمُطّلب أوّل من خَضَب بالسّوادِ من العرب. ويقال اخْتَضَبَ الرَّجل واختَضَبَتْ المرأة .

وجاء في تاج العروس: حِنّاء بالكسر والمدّ والتشديد ، معروف ، وهو الذي أَعَدّه الناس للخضاب .

وقد ذكرت الحنّاء ، وذكر الخضاب في الأشعار الجاهليّة ، وتغزّل فيها الشعراء (١٢) ، كقول « علقمة الفحل » الذي قال :

كأنّ دماء الهاديات بنحـــره
عصارة حنّاء بشيب مُخضّب

وقال كعب بن الأشرف في الكَتَم :

صفراء رادعة لو تعصر انعصرت
من ذي القرارير والحنّاء والكتم

وقال زهير بن ابي سلمى :

وكأنّها يـــوم الرحيل وقد بـــدا
منهـــا البنـــان يزينـــه الحنـــّاء

وقال شاعر جاهلي ، في الخضاب والكُحْل :

وما غرّني إلاّ خِضابٌ بكفّـــها
وكُحلٌ بعينيها وأثوابُها الصُفْرُ
وجاءوا بها بَعَدَ المحاقِ بليلـةٍ
فكان محاقاً كلُّه ذلك الشـهرُ

وقد أقرَّ الرسول الكريم ( ص ) الخضاب بالحنّاء والكتم ، وروي عنه ( ص ) قوله « أن أحسن ماغيّرتم به الشـيب الحنّاء والكتم » ويذكر أنّه ( ص ) قال : « عليكم بالحنّاء فانّه خضاب الاسلام » (١٣) .

وذُكر في القاموس المحيـط : الكَتَمُ مُحَرّكة والكُتمانُ بالضم ، نبت يخلط بالحنّاء ويُخضب به الشـعرُ ، فيبقى لونه . وأصله اذا طُبخ بالماء كان منه مداد للكتابة .

وجاء في لسـان العرب : الكَتَمُ بالتحريك : نبات يخلط مـع الوَسْمة للخضاب الأسـود . الأزهري الكَتَمُ نبتٌ فيه حُمرة . وروي عن أبي بكر ( رضي ) أنّه كان يختَضِبُ بالحنّاء والكَتَم . وفي رواية : يصبغ بالحنّاء والكَتَم ؛ قال أميّة بن أبي الصلت :

وشَوَّذَت شَمْسُهمْ إذا طَلَعَتْ
بالجُلب هِفاً كأنّه كَتَـــمُ

لقد ذكرت الحنّاء في كل كتب المفردات ، وابتداءً من « ديسقوريدس » وأسهب المؤلّفون في وصفها ، واستعمالها في تحضير الأدوية . فنذكر « داود الأنطاكي » (١٤) على سبيل المثال لا الحصر :

« شجر الحنّاء ، باليونانية — فَيْغَرس — له ورق كورق الزيتون ،ولكنّه أعرض يسيرا . . . . وهو سيّد الخِضاب . . . يطرد الحرارة ويفتح السادد، ويذهب اليرقان والطحال ، ويُفتّت الحصى ، ويدر البـول . . . الخ . وبالسمن يقطع الجرب المزمن . . . . الخ .

واشجار الحنّاء تُعمّر سنوات عِدّة، خشبها صلب ، وجذورها حمراء ، ولها أزهار تُسمّى « تَمرُ حِنّا » وتنمو الأشجار في الهند وايران وبعض البلدان الافريقيّة ، وتكثر زراعتها في جنوب مصر . وقد نجحت زراعتها في منطقة البصرة في السنين الأخيرة .

ولابُدّ لنا من قول في الكَتَمِ .

الكَتَمُ ، ويُسمّى فلفل القرود ، وهو شجر جبلي شوكي ، ثماره مُقيّئة ، والمحمّص منها قابض . يُتّخذ من جذوره صباغ أزرق جميل يدخل في صناعة الحبر . وأوراقه تخلط مع الحنّاء في تخضيب الشعر باللّون الأسود . ويُسمّى الكتم في اللّغة الانكليزية « (( Randia )) » (١٥) .

تحضر الحنّاء المعروفة في أسواق العطّاريات بتجفيف الأوراق الطريّة والأغصان الغضّة والقُمم الزهريّة ثمّ تطحن هذه جيداً ، فيحصل من ذلك طحين أخضر اللّون أو أخضر مائل الى الصُفرة ، رائحته طيّبة عطريّة .

وتدخل أزهار الحنّاء « تَمرُ حِنّا » في صناعة العطور ومواد التجميل الحديثة .

ويعمل من مسحوق الحناء الأخضر عجينة بالماء ، وتُلَطّخ بها الأيدي أو الأرجل أو الاظفار أو الشعر ، وتترك بضع ساعات ، ثمّ يُغسل الموضع الذي كانت عليه العجينة ، فيلاحظ أنّه قد صبغ بلون أحمر ، مع ترك رائحة طيّبة مقبولة تبقى بضعة أيام أمّا الصبغ فيبقى مدّة أطول ، قد تصل الى أسابيع عِدّة .

إن خضاب الحنّاء مفيد جداً ، ضدّ تقشّعات الأقدام ، وكثرة العرق ، ذلك لأنّه يحتوي على مادة دابغة ، هي حامض العفص (( Tannic Acid ))

والدباغ نفسه (( Tannin )) وهـذا يقـوم بدباغة خفيفة ، ممّا يؤدي ذلك الى ايقاف نضوح العرق .

والحنّاء تحتوي على مواد عطريّة أيضاً ، لذا فانّها تلطّف الرائحة ؛ ويُنصح بخضاب الأرجل بالحنّاء في أيام الصيف خاصة ، لمنع نضوح العرق وتطييب رائحة الأقدام .

وعادة الخضاب بالحنّاء معروفة منذ أقدم الأزمان ــ كما ذكرنا سابقاً ؛ ولا زالت مستعملة ، خصوصاً بين سكان القُرى والأرياف لصبغ الاظفار والأيدي والأرجل . أما صبغ الشعر بالحنّاء فمستعمل بكثرة كثيرة بين جميع الطبقات تقريباً . وهذا الصبغ يدخل في تركيب الأصباغ الكيميائية الحديثة أيضاً . ويُعَدّ الخضاب بالحنّاء من المُستحبّات الشرعيّة ، ونعم ذلك ففيها التجميل والنظافة والتَطَيّب . ولا سيما في مناسبات الفرح ، كأيام الأعياد والأعراس ، وكذلك زينة للأطفال ؛

وتُخلط الحنّاء مع صبغة « النيل ، أو النيلة أو العِظْلِم ، Indigo » فتصبح صبغة جديدة ، سوداء تستعمل في صناعة الشعر ، وتعرف عند العطّارين باسم « حِنّه و وَسْمَه » حيث يُصبغ بها شعر الرأس واللّحية . وهذا الخضّاب مُفَضّل لدى كثير من الناس ومُحبّبٌ لكبار السّن والشيوخ ، ومنذ العصور القديمة ــ كما قلنا سابقاً ــ ولقد وجد أثرٌ لهذا المريج في اظفار مومياء « هنتاري ورمسيس الثاني وكذلك في شعرهما (١٦) .

تُسمّى الحنّاء في كلّ اللّغات الأوربية (( Henna )) والاسم عربيّ لم يتغيرّ .

واسمها العلمي (( Lausonia )) وقد درست من الناحية الكيميائية ، وعرف الصبغ الموجود فيها ، وكذلك صيغته التركيبيّة ، وسُمي « لوسون Lawsone » وهو صبغ برتقالي اللّون ، سهل الذوبان في الماء .

والصيغة الكيميائية لصبغ اللّوسون تشبه تماماً صيغة صبغ الديرم ، عدا موقع الهيدروكسيل فيكون في ذرة الكربون رقم (٢) ويقرأ : ٢– هيدروكسي – ١ر٤ – نفتوكينون

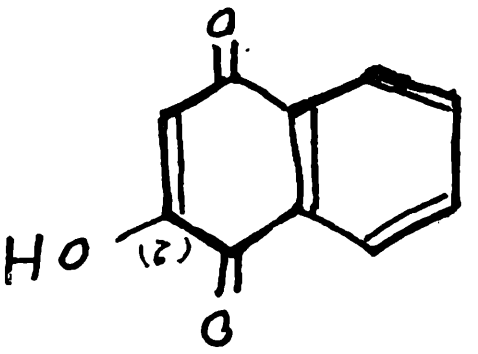


2 — Hydroxy - 1,4 - naphthochinone

## العُصْفُر

كانت النساء العربيّات يستعملن عصارة نباتات مُعيّنة لتجميل الخدود. ومن أشهر هذه النباتات هي نبتة« القُرْطُمْ » وتحمل هذه النبتة زُهيرات جميلات صُفر الألوان تعرف باسم« العُصْفُر » وقد سمّاه العرب بأسماء عدّة ، منها الإحْريض ، والخَرِيعُ ، والمُرَيِّق ، والبَهْرَم ، والبَهْرمان، وزعفران كاذب . . . . الخ . ويقال عَصْفَرْتُ الثوب أي صبغته بالعُصْفُر.

ويستخرج من العُصْفر صبغة حمراء اللّون ، راتِنجيّة القوام، يصنع منها عجينة ، وذلك بمزج الصبغة مع قليل من الطحين والعسل وصَمْغ نباتيّ . وتستعمل هذه العجينة لتحمير الخدود عند النساء . وهي بمثابة « الحُمْرة » كما يصطلح عليها الآن . وقد سميّت النبتة « العصفر » في بعض البلدان العربيّة باسم « حُسْن يوسف أو ستّ الحُسْن » وهذا غير صحيح (١٧) .

ويُعتصر من القرطم زيت يدخل في صناعة الصابون . وحبّه يستعمل في تلوين الأطعمة والمُخلّلات ( الطُرْشي » ويُغشّ به الزَعْفُران الغالي

الثمن . والقرطم من العطّاريّات المهمّة ، فهو من البهارات الطيّبة الرائحة والمذاق . ويدخل في تحضير بعض الأدوية ، وقد دُرس في كتب المفردات الطبية العربيّة دراسة جيدة (١٨) .

والاسم العلمي للعصفر أو القرطم هو (( Carthamus Tinctoria )) وله أسماء عدّة في اللّغتين الانكليزيّة والألمانية .

فيقال له بالانكليزية مثلا ، Carthame أو False Saffron أو Saffron this Tle . وبالألمانية Färbersafflor أو Bastardsafran . وكان هذا الصبغ يستعمل بكثرة في صباغة المنسوجات القطنيّة والحريريّة . وقد عرف الكيميائيون صيغته التركيبيّة ، وأمكن تحضيره في المختبر أيضاً . شكل ٣ .

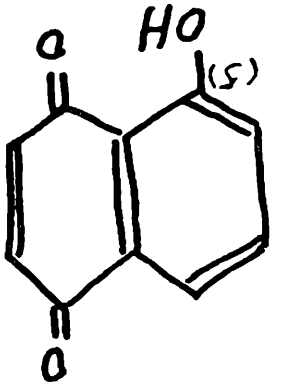


## الإسفيداجُ

الإسفيداج هو أحد خامات الرصاص الطبيعيّة (( Cerussit )) وهو كربونات الرصاص القاعديّة :

$$Pb(OH)_2 . 2\,PbCO_3 = Pb_3(CO_3)_2(OH)_2$$

وقد عُرف في حدود القرن السادس ق . م ، وربّما قبل هذا التاريخ . وقد أطلق عليه العرب اسم « الأسْرُب أو الأبّار — مُعَرَّب » .

والإسفيداج أو الإسفيذاج أو الإسبيداج كلمة مُعَرّبة ومعناها « رماد الرصاص » ويُسمّى بالانكليزية Ceruse أو White Lead وبالألمانيّة Bleiweiss أو Weissbleierz ومعنى كلّ هذه الكلمات « أبيض الرصاص » .

يؤخذ الاسفيداج ويخلط مع قليل من الزيت أو الصَمْغ الخفيف ، وتُعمل منه عجينة أولا ، ثمّ تحوّل العجينة الى أقراص ، بيضاء اللّون ، وتترك في الهواء فترة من الزمن حتّى تصل الى درجة الجفاف تقريباً وقد يخلط عطرٌ مع العجينة لتطييب الرائحة وتباع بهذه الصورة عند العطّارين . ونشاهد مثل هذه الاقراص حتّى الآن في الأسواق الشعبيّة وتُسمّى « سِبْداج » .

وعند الاستعمال يُمْسَحُ قرص الاسفيداج بقطعة من القطن أو الخام ، فيتعلّق فيه « الرماد الأبيض » وتُلطّخ به الوجنتان والوجه . وهذا يقوم مقام « البودرة » المعروفة في الوقت الحاضر . ولا تزال نرى استعمال السبداج عند النساء في الأوساط الشعبيّة والقرى والأرياف حتّى يومنا هذا .

قلنا ان الاسفيداج أحَد خامات الرصاص الطبيعيّة ( كربونات الرصاص القاعديّة ) . وقد ذُكر في كتب المفردات كلّها ، حتى أن « ابن البيطار » (١٩) أسهَبَ في وصف تحضيره أيضاً . وذكره « القزويني (٢٠) وممّا قاله : حجر الاسفيداج هو رماد الرصاص القلعي . . . ينفع من حروق النار إذا طُلي ببعض الأدهان . . . ويُستعمل الاسفيداج في الطب الحديث قابضاً مُسكّناً في شكل مرهم في التقرّحات والأسطحة الملتهبة وتُصنع منه مراهم ( لصقات ) ( ٢١ ) .

## السِّواكُ وتنظيف الاسنان

جاء في لسان العرب: سوك: السَّوْكُ: فعْلُكَ بالسِّواكِ والمِسْواكِ. وساك الشيء سوكاً: دَلَكَهُ، وساكَ فَمَه بالعود يَسُوكه سَوْكاً؛ قال عدِيُّ بن الرِّقاع:

وكأنَّ طَعْمَ الزَنْجَبيلِ وَلَذَّةً
صَهْباءَ، ساكٍ بها المُسَحَّرُ فاها

ويُقال إمرأة عَطِرة مَطِرةٌ بَضَّةٌ مَضَّةٌ. والمَطِرة الكثيرة السِّواك.

والسِّواك مايُدْلكُ به الفمُ من العيدان. والسِّواك: كالمِسْواك، والجمع سُوُكٌ: مَساويك. (وهو العود الذي تُنظّف به الأسنان).

توجد أشجار كثيرة تكمن فيها زيوت طيّارة، ومواد عطريّة طيّبة الرائحة. وفيها فوائد طبيّة أيضاً. ومن هذه الأشجار شجرة الأراك أو الأرك، وتُسمّى شجرة السواك. واسمها العلمي (( Salvadora Persiea )) واسمها بالانكليزيّة toothbrush - tree (شجرة فُرشة الأسنان) وبالألمانيّة (( Senfkorn )).

لقد ذُكر الأراك في كلّ كتب المفردات العربيّة. وممّا قيل عنه: قشور جذو السواك حريفة مُنفِّطة، والأوراق مسهلة، ترعاها الابل، والثمار عنقوديّة تُباع في المتاجر اسوة بعناقيد العنب. والفروع تستعمل سواكاً للأسنان. ولذا سُميّ سِواكاً أو مِسْواكاً (٢٢).

ويُتّخذُ من سيقان شجر الأراك الغضّة عودٌ تُفْرك به الأسنان للتنظيف وتُطيّب رائحة الفم أيضاً. وهذه عادة قديمة جداً ومعروفة عند العرب، ولا يزال المِسْواك يستعمل عند سكّان الجزيرة العربيّة بكثرة كثيرة. وقد استعمل العرب مواد أخرى لتنظيف الفم والأسنان.

حدّثني عطّار طاعن بالسِّن ، فقال : كُنّا نشير على من كان في أسنانه سواد أو وسخ أن يفركها بخليطٍ من المِلْح ومَسْحوق الفحم . قلت : أي فحم ؟ قال : أياً كان ، ولكنّ الأفضل أن يُؤخذ الفحم الذي يحصل عايه من حَرْق العظام . فشكرته ، وقلت له ، هذا ماكنت أتوقّعه وبه نلتُ مطلبي . فالملح من الناحية الطبيّة قابض astringent ؛ لأنّه يمتص السوائل hygroseopic ، والفحم فيه خصيصة القَصْر واجتذات الأوساخ الملونة .

قلت : وهل يمكنك أن تقول ، متى عرفتم أو سمعتم بتراب العظام المحروقة . قال : هذا ماكنت أسمعه عن أبي وجدّي وكانا من العطارين المشهورين . ولا أدري من أين سمعا ذلك .

لقد أفادنا هذا الحديث لربط عمليّة التنظيف بفحم العظام بعماية تنقية المواد الكيميائيّة . ونوجزها :

يستعمل فحم العظام في الكيمياء في عماياّت التنقية والتَبَلْوُر Crystallization لازالة الشوائب والمواد الملّونة من المواد التي يُراد تنقيتها وتنظيفها ( وفي الصناعة أيضاً يستعمل الفحم الحيواني ، ومنه فحم العظام ، مثال ذلك تصفية السُكّر الخام الذي يُقْصر بالفحم أو غيره ) .

ويطلق على هذه العمليّة المصطلح « إمتزاز (( adsorbtion )) وقد اكتشفت خاصيّة فحم العظام هذه منذ مدّة لاتزيد على المئة والعشرين سنة . ويتضّح من حديث الشيخ العطّار أنّها معروفة قبل هذا التاريخ ، وربّما كانت معروفة عند الكيميائيين والصنّاع العرب ، واستعملوها ولكنّهم لم يُدخِلُوها في مدخل الكيمياء .

ومن المواد المنظّفة التي كانت متداولة عند العرب النبتة المعروفة باسم « عاقِر قَرْحا » أو « عُود القَرْح » ويُسمّى « تاغُنْد ست » أو « أصل الطرخون الجبليّ » .وهذه العشبة من جنس البابونّج « البيبرون » واسمها العلمي Anacyclus Pyruthrum واسمها بالانكليزيّة « ورد البعوض Insect Flowers ، أو Pellitory of Spain أو Alexander's foot . وتُسمّى بالألمانيّة Speichelwurz أو Alexanderfuss .وقد استخلص من العاقر قرحا مواد كيميائية عِدّة ،أهمها المادة المعروفة باسم Pyrethrim(٢٣) ، وهي مادة معقّدة التركيب ، تدخل في تحضير مواد طبيّة كثيرة ، خاصّة مواد التعقيم وعمل المراهم ، ويعمل منها مرهم ضد الجرب .

قال ابن البيطار وغيره من العشّابين (٢٤) والأطباء العرب : عاقر قرحاً يسكن وجع الأسنان الحادث من البرودة ، وينفع من النافض والقشعريرة الكائنة بأدوار ( ويُقصد بها الملاريا ) إذا دُلك به البدن كلّه قبل نوبةالحمّى مع الزيت . . . الخ .

وتدخل جذور العاقر قرحا المجفّفة ، وكذلك الأوراق والقمم الزهريّة ، في عمل المساحيق القاتلة للحشرات ، وعلى الخصوص البق والبعوض ، وتدخل أيضاً في تحضير مساحيق الأسنان . ويُصنع منها غراغر ( م . غرغرة ) للفم واللّثة . فهي مُدرّة للّعاب ، ومُعَطِّسة ، وأجودها مايؤتى بها من القوقاس . . . . الخ .

## المراجع والتعليقات

١ــ نقلاً عن ابن الجوزي ، حـ ٨ ، ص ١٨١ .
زكيّة عمر العلي ــ التزين عند المرأة في العصر العباسي .
ص ١٩ــ منشورات وزارة الاعلام . بغداد ١٩٧٦ .
٢ــ لسان العرب لابن منظور : مادة ، ثَمَدَ وكَحَلَ .
وكذلك : الإفصاح في فقه اللّغــة ــ عبدالفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى ــ الطبعة الثانية . دار الفكر العربي ، القاهرة .
وكتاب التلخيص ــ لأبي هــلال العسكري . تحقيق الدكتور عزّة حسن . دمشق ١٩٦٩ م .
٣ــ مروج الذهب ،ج٢، ص ١٤١ــ تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر . ــ بيروت ١٩٧٣ م . وكذلك أخبــار الزمان ص ١٢٤ ، الطبعة الثانية ــ دار الأندلس ــ بيروت ١٩٦٦ م .
٤ــ العرب واليهود في التاريخ ، ص ٧٣ ، دار الحريّة للطباعة ،بغداد ١٩٧٢ م .
الهكسوس: أي ملوك الرعاة ( التسميــة يونانيّة ) وهم الذين يُسمّونهم ــ العمالقة أو العــرب البائدة ــ ويقال إنهم أدخلوا النّحاس الى مصر ، وبعض المعادن الأخرى . حكمــوا مصر بين ١٧٨٥ــ١٥٨٠ ق . م .
٥ــ دائرة المعارف البريطانية ، مادة Antimon .
٦ و ٧ و ٨ ــ المصدر رقم (١) ص ٦٧ــ٦٨ .
٩ــ الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ــ مادة إثْمِدْ ــ مكتبة المثنى ــ بغداد ــ بالأوفست ــ .
١٠ــ H. Remy : Lehrbuch der Anorganischen Chemie, B. I, S. 581, 3. Auflage, ( Leibzig 1940).

١١– تاريخ العرب(مطوّل ) ص ٦٨٨،الطبعة الرابعة دار الكشاف ، بيروت ١٩٦٥ م .

١٢ و١٣ – المصدر رقم (١) ص ٦١–٦٢ .

١٤– تذكرة أُولي الألباب والجامع للعجب العُجاب .
الطبعة الأولى ، المطبعة العثمانية المصريّة ١٩٣٧ م .

٥١– تذكرة ابن أرمانيوس ( عازر أرمانيوس ) ص ٢٢٥ ، المطبعة المصريّة ١٩٢٢ م .

١٦– رمزي مفتاح : إحيـاء التذكرة ، ص ٢٦٣ ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٣ م .

١٧– إن الاسم العلمي للنبتة المعروفة بأسم حسن يوسف أوست الحسن هو : Atropa Belladonna . ويُستخرج منهـا قلـويد ( شـبه قلوي Alkaloid ) ، يعرف بأسـم « أتروبين Atropine » ويُسـتعمل في طبّ العيون ، موسّعاً للحدقة ، وكذلك يدخـل في تركيب بعض أدوية المعدة .
( كاتب البحث – المصطلح الكيميـائي في التراث العربيّ ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج١ ،مجلد٣١ ،بغداد ، ١٩٨٠ م .

١٨– للمزيد من المعلومات ، تراجع المصادر رقم ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

١٩– المصدر رقم (٩) .

٢٠– عجائب المخلوقـات وغرائب الموجودات، ص ٢٤٩ ، تحقيـق فاروق سعد ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

٢١– المصدر رقم (١٥) ص ١٦٢ .

٢٢– المصدر السابق ، ص ١٥٧ . والمصدر رقم ١٦ ، ص ٧٩ .

٢٣– A. Hill : Economic Botany, p. 2641, Mc. Graw - Hill (1952).

٢٤– المصدر رقم (٩) ، و١٥ و ١٦ ( مادة عاقر قرحا ) .